نحو علاقات أسرية سوية مستقرة

23 من جمادى الآخرة 1437هـ الموافق 1من إبريل 2016م

أولا: العناصر:

1. منزلة الأسرة في الإسلام.
2. منهج الإسلام في استقرار الأسرة :
   - أ- حسن الاختيار.
   - ب- رعاية الحقوق والواجبات.
   - ج - تحقيق المودة والرحمة.
   - د- المعاشرة بالمعروف.
   - هـ - العدل بين الأولاد.
3. أثر استقرار الأسرة على المجتمع.

ثانيا: الأدلة:

من القرآن الكريم:

1. قال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: 21] .
2. وقال تعالى : {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} [النحل: 72].
3. وقال تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[النور:32].
4. وقال تعالى:{وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة :228].
5. وقال تعالى:{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء : 19].
6. وقال تعالى:{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}[النساء :35].
7. وقال تعالى:{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}[الطلاق: 7] .

من السنة النبوية:

1. عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (متفق عليه).
2. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ). (رواه البخاري).
3. وعن أَنَس بن مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) (رواه البخاري).
4. وعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. (رواه الترمذي). وفي سنن البيهقي: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ).
5. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)،قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (رواه البخاري).
6. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) (رواه أحمد) وفي رواية عند الحاكم في المستدرك: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ).

ثالثا: الموضوع:

لقد عُني الإسلام بالأسرة واهتم بها اهتمامًا بالغًا ، لأنها اللبنة الأولى في بنيان المجتمع ، فبصلاحها يصلح المجتمع ، وبفسادها يفسد المجتمع ، لذلك وضع الإسلام للأسرة ضوابط ومعايير تنظم قيامها ، وتحرص على سلامتها واستقرارها ، حفاظاً على الإنسان والمجتمع ، لأن استقرار الأسرة هو استقرار للمجتمع .

وقد امتدتْ عناية الإسلام بالأسرة إلى مرحلة ما قبل تأسيسها بما يحقِّق التلاؤُم والانسجام، والتوادّ والتراحم بين جميع أفرادها ، ويُقَلِّل من دوافع الهدم والانهيار لبنيانها ، فقد حَثَّ الإسلام أتباعه على تكوين الأسرة بوسيلة مشروعة تتماشى مع الحفاظ على كرامة الإنسان وحفظ آدميته وتتوافق مع فطرته السوية ، ألا وهي الزواج ، إحدى سُنَن الله (عز وجل) في الخلق كله، قال تعالى:{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: 49] ، ويقول سبحانه {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: 36]. فالزواج سُنَّة كونيَّة ، جعله ربنا سبحانه دليلا على عظيم قدرته ، وآية باهرة من آياته في خلقه ، فقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21] .

كما رغب الإسلام في تكوين الأسرة واستقرارها إعمارًا للأرض ، وتحقيقًا لمصلحة المجتمع وبناء الوطن ، ووصولاً إلى الغايات السامية المتمثلة في : نشر العفة والفضيلة ، وحماية المجتمع من كل مظاهر الفسق والرزيلة ، وترابط الأسر فيما بينها بالمصاهرة ، وغير ذلك من الحكم والغايات النبيلة ، يقول الحق سبحانه:{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[النور : 32 – 33] . بل إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حثَّ الشبابَ على تحقيق سنة الزواج مبينًا منافعه وفوائده ، حيث قال(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (متفق عليه).

وفي المقابل نهى الإسلام عن كل الأمور التي تتعارض مع عمارة الكون ، ومنها التبتل والانقطاع عن النساء ، فقد منعه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ونهى عنه ، قال سَعْدُ بْنُ أَبِي

وَقَّاصٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): (رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا) (رواه البخاري) ، وعن أَنَس بن مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) (رواه البخاري).

ولمَّا كان الاستقرار الأسري- بكل ما تحمله الكلمة من معنى للهدوء والسكون والطمأنينة – مطلبًا شرعيًّا ودنيويًّا منشودًا وضع الإسلام أسسًا شرعية سليمة ومنهجاً قويمًا ، حتى تدوم العشرة والألفة بين الزوجين ، ويتحقق الاستقرار ، من أهم هذه الأسس:

* **الاختيار الصحيح لكل من الزوجين للآخر** ، فقد أوصى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عند اختيار الزوج لزوجه بحسن الاختيار ، لأنها المربية الصالحة ، المحافظة على ماله وعرضه ، وهي خير متاع الدنيا ، فعن عبد اللهِ بن عمرٍو (رضي الله عنهما) قال: قال رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم):(الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ) ، فعندما تُبنى الأسر على حسن الاختيار يتحقق السكن والاستقرار ، والودّ المتصل ، والتراحم المتبادل ، حينئذ يكون الزواج أشرف النعم، وأبركها أثرًا.

ولابد وأن يكون ذلك الاختيار على أساس من الدين والخلق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ) (رواه البخاري). وفي رواية عند الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى إِحْدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى مَالِهَا، وَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى جَمَالِهَا، وَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى دِينِهَا، فَخُذْ ذَاتَ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرِبَتْ يَمِينُكَ) (رواه أحمد).

فالزوجة لها دور عظيم في رعاية الأسرة ، فبصلاحها تستقر الأسرة ، بل يستقر المجتمع كله، وبفسادها تنهار الأسرة.

يقول الشاعر :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددْتَها أعددْتَ شعباً طيبَ الأعراق

كذلك أوصى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عند اختيار الزوجة لزوجها بأن يكون الاختيار على أساس الدين والخلق ، فعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ) (رواه الترمذي). فجعل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الدين والخلق أهم صفات الزوج الصالح ، ومن ثم فالاختيار الصحيح على أساس الدين يحقق للأسرة الاستقرار الذي يؤدي إلى تقدم المجتمع.

*** وكذلك من أسس استقرار الأسرة : أن يراعي كل فرد من أفرادها ما له من حقوق وما عليه من واجبات** ، فقد جعل الإسلام لكل من الزوجين على الآخر حقوقًا تتساوى مع ما عليه من واجبات ، قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة البقرة : 128] فلا يطلب أي فرد من أفراد الأسرة بحقٍّ قبل أن يؤدي ما عليه من واجب ، حتى تتحقق المودة والرحمة والسكينة التي تجعل الأسرة مستقرة.

ولقد وضح الإسلام هذه الحقوق والواجبات ، وقسمها بين جميع أفراد الأسرة ، وألزم جميع أفرادها بضرورة المحافظة عليها ، فمنها الحقوق المادية ، ومنها الحقوق المعنوية والتربوية ، ومنها المشاركة البناءة في أداء المسئوليات ، وضرورة التعاون المشترك بين جميع أفراد الأسرة في أعباء الحياة ومتطلباتها ، ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (رواه البخاري) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) (رواه أحمد) .

ولقد سأل أحد الصحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: (أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ) (سنن أبي داود).

وها هي أَسْمَاء بِنْت يَزِيد الْأَنْصَارِيَّةِ تسأل رسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فتقول : (... إِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ:" هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: (انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ) ، قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا) (شعب الإيمان).

ومن ثمّ فإن نجاح الأسرة المسلمة واستقرارها مرهون بالمحافظة على الحقوق والواجبات بين جميع أفرادها ، وتجنب تجاهلها أو التفريط فيها.

* **ومن الأمور التي تساعد على استقرار الأسرة : انتشار الرحمة بين أفرادها** ، فإن الرحمة من أهم دعائم البيت السعيد ، وأساس متين لأي أسرة ناجحة ، وهي من القيم التي ينبغي لكلا الزوجين أن يتحلى بها في علاقته مع الآخر حتى تنعم الأسرة بالسكينة والمودة والاستقرار ، قال سبحانه : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[الروم:21]. فالتراحم بين جميع أفراد المجتمع مرهون بتحقيقه في الأسرة. ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا في الرحمة بأهل بيته كلهم على السواء ، أزواجه وأولاده وحتى أحفاده وخادمه، فكان (صلى الله عليه وسلم)خير الناس لأهله.

فالرحمة إذا نُزعت من البيت كانت الحياة الأسرية شقاء ودمارًا، فينبغي على كل أفراد الأسرة العمل بجدية على تحقيق الرحمة.

* **وكذلك من أسس استقرار الأسرة : المعاشرة بالمعروف** ، وهذا ما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى ، وأوصانا به نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقال تعالى :{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[سورة النساء: 19] ، فكل من الزوجين مطالب بإحسان الصلة بالآخر حتى يسود الأسرة جو من المودَّةِ والتعاون يتحقق معه مقصد هذه العلاقة ، قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}[البقرة: 187] ، وقال سبحانه:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:21]، وقال سبحانه: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}[الأعراف: 189].

ومما تتم به المعاشرة الحسنة: الكلمة الطيبة ، والفعل المحمود ، والتسامح ، والتعاون ، والاحترام ، والتشاور ، وحفظ الأسرار ، واجتناب دواعي النزاع والشقاق ، وسائر الخصال الحميدة.

ولقد ضرب لنا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) أعظم الأمثلة في حسن العشرة ، ففي حديث الأَسْوَدِ ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ) (صحيح البخاري) ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228] ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنْظِفَ جَمِيعَ حَقِّي عَلَيْهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:{وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}[البقرة: 228] (المصنف لابن أبي شيبة).

ومن معاني حسن العشرة بين الزوجين: عدم إثقال أحد الزوجين كاهل شريكه بالمشاكل التي يعاني منها الآخر ، فحسن العشرة كلمة جامعة تضم كل معاني الخير للحياة الزوجية الطيبة ، والإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية على المحبة ، والتفاهم والانسجام ، وهذه هي أهم خطوة في إصلاح المجتمع.

*** ومن الأمور التي تساعد على استقرار الأسرة : مشاورة كل من الزوجين للآخر ،** فالتشاور بين الزوجين يزيد الألفة والمحبة بينهما ، حتى في مسألة قد تبدو أمام البعض صغيرة وهي مسألة فطام الرضيع قبل عامين ، قال تعالى:{فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيهِمَا}[البقرة:233] ، فالشورى بين الزوجين ، بل بين جميع أفراد الأسرة تمثل منهج حياة في ديننا الإسلامي، والأمر بها ورد بصيغة العموم في كتاب الله عز وجل ، قال سبحانه:{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[سورة الشورى:39] ، وهذا ما طبقه الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عمليًّا ، وفي السنة النبوية مواقفُ عدة لمشاورته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لبعض أزواجه ، منها : ما حدث بينه (صلى الله عليه وسلم) وبين زوجه السيدة أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) يوم الحديبية ، فبعد أن انتهى النبي (صلى الله عليه وسلم) من إبرام عهد الصلح بينه وبين أهل مكة قَالَ لأَصْحَابِهِ: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا) ، قَالَ راوي الحديث: فَوَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا) (صحيح البخاري). قال الحسن البصري (رضي الله عنه): إنْ كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لفي غنى عن مشورة أم سلمة ، ولكنه أحبّ أن يقتدي الناس في ذلك ، وأن لا يشعر الرجل بأي غضاضة في مشاورة النساء.

* **كذلك من أسس استقرار الأسرة : النفقة على جميع أفرادها** ، فهي حق من الحقوق التي أوجبها الإسلام على الراعي ، قال تعالى:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}[النساء:34] ، وقال تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ}[البقرة : 233] ، وقال تعالى:{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}[الطلاق : 7].

* **ومن الأمور التي تساعد على استقرار الأسرة : تحقيق العدل بين جميع أفرادها** ، فحسن التربية الدينية للأبناء ، وتعليمهم شعائر الدين ، والعدل بينهم عامل أساسي في استقرار الأسرة ، فقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من التفريق بين الأبناء في المعاملة ، حفاظًا على الترابط الأسري ، والتآلف بين جميع أفرادها ، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: (تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟) قَالَ: لَا، قَالَ: (اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ)، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ) (رواه مسلم).

إن الإسلام قد نظر إلى الأسرة نظرة تقدير واحترام ، فهي في نظره رباط مقدَّس له غايات سامية ، حرص الإسلام على إبقائه قوياً متماسكاً ، يحقِّق أهدافه ويصمد أمام الشدائد والمحن ، ولهذا أَوْلَاها الإسلام عناية فائقة بجملة من الآداب من أجل أن يكون البناءُ متماسكًا قويًّا ، يحافظ على استقرار المجتمع وحمايته من كل مظاهر التطرف والتشدد والعدوان، فاهتم الإسلام بالأسرة وأسس لاستقرارها ، تحقيقًا للترابط بين أفراد الأمة ، وتحقيقًا للتقدم والرخاء .

وإذا استقرت الأسرة شعر جميع أفرادها بالأمن في جميع صوره - النفسي والبدني والاجتماعي والاقتصادي - مما ينعكس ذلك على أمن المجتمع وسلامته ، فالإسلام اعتبر أن استقرار الأسرة وسيلة فعّالة لتحقيق الأمن المجتمعي من الفساد و الفوضى، فبداية الأمن المجتمعي من الأسرة أولا، ثم المدرسة، ثم المجتمع.

فالأسرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل الحق والباطل، والخير والشر، ويتعلم تحمل المسئولية، وحرية الرأي، وفي الأسرة تتحدد عناصر شخصية الطفل، وتتميز ملامح هويته، ومن ثم يكون مواطنا صالحا في مجتمع صالح.

فالأمن لا يُفرض بالقوة فحسب ، وإنما ينبع من أفراد المجتمع، من خلال ضمائرهم، وللأسرة الدور الرئيسي في تكوين الضمير وتنشئته في نفوس أفرادها.